جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم الدراسات اليونانية واللاتينية

أوراق كلاسيكية

العدد الأول
أهمية اليونانية واللاتينية
فى الدراسات الأدبية

يشرف عليها
أ. د. أحمد عتمان

القاهرة
١٩٩١

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢/٢١١٢
ترقيم دولي : I.S.B.N.
977-00-2599-2

مكتبة الدكتور
عادل النادي

المحتويات

إستهلال : بقلم : أحمد عتمان

أولاً

دراسات بالعربية الصفحات

١. طـــه حسين : اليونانية واللاتينية وسبل تعليمهما فى المدارس والجامعات ١ – ١٧

٢. محمد خليفه: أهمية اللغات الأوربية القديمة والحديثة للمتخصصين فى الدراسات الشرقية ١٨ – ٢٢

٣. أحمد عتـمان: اللغة اللاتينية ٢٣ – ٣٥

ثانيا

دراسات بلغات أجنبية

Pages

1. D. M. Jones: Greek Language. 1- 24
2. Ophelia Fayez Riad: Étude Lexicale de l'Origine Greco-Latine des mots français dans quelques pièces françaises choisies. 25- 49

إستهلال

شاهدت كلية الآداب جامعة القاهرة طوال العام الماضى ١٩٩٠/١٩٩١ حواراً علمياً خصباً اشتركت فيه جميع أقسام الكلية. وتجلى ذلك الحوار فى العديد من الندوات الدولية القيمة والتى كان لها صداها البعيد والمديد. بيد أن كاتب هذه السطور يعتبر أن الحوار الذى دار فى أروقة هذه الكلية العريقة حول تعديل لائحة الكلية الدراسية كان هو الأكثر استشراقاً للمستقبل. إنه الحوار العلمى الدقيق بين مختلف التخصصات داخل الكلية. وهو الحوار الذى يعيد ترتيب البيت ويجدد ما قد يكون أصابه شىء من التلف، ويقوم ما إعوج، ويثبت ما ثبتت صلاحيته ويضيف ما إستجد على الساحة فى مجال الدراسات الأدبية واللغوية والانسانية.

ورأى قسم الدراسات اليونانية واللاتينية أن يساهم فى تثبيت دعائم هذا الحوار العلمى المثمر كتابة. وقرر القسم أن تكون له «أوراق كلاسيكية» سنوية يسهم فى تحريرها أساتذة من كافة أقسام الكلية بجامعة القاهرة أو الجامعات المصرية الأخرى. ونحن فى انتظار أوراق الباحثين المهتمين بالقضية التى تطرحها هذه الأوراق بين يديك هذا العام ١٩٩٠/١٩٩١ قضية تدريس اللغة اليونانية واللاتينية فى الجامعات المصرية.

والله ولى التوفيق ،،،

أحمد عتمان

أستاذ ورئيس قسم الدراسات اليونانية واللاتينية

أكتوبر ١٩٩١

* اليونانية واللاتينية
وسبل تعليمهما في المدارس والجامعات
طه حسين

وهناك مسألة أقل من هذه المسألة خطراً ولكن وزارة المعارف لا تريد أن تقف عندها ولا أن تفكر فيها لأنها غريبة بالقياس إليها، بل هى غريبة شاذة بالقياس إلى الكثرة العظمى من المثقفين المصريين مع أنها فى نفسها من أوضح المسائل وأجلاها، وهى مسألة اللغتين القديمتين اليونانية واللاتينية.

ويجب أن نسجل هنا مع التقدير والأسف أيضاً أن صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا قد شعر بخطر هذه المسألة وهم بحلها وكاد يوفق إليه، لولا أن الظروف السياسية فيما نظن ردته رداً عنيفاً عما كان يريد. فقد بدأ ماهر باشا بادخال اليونانية واللاتينية والألمانية أيضاً فى بعض المدارس الثانوية حين كان وزيراً للمعارف. وكان تفكيره فى هذا مستقيماً كل الاستقامة، فإن الذى ينشئ الجامعة يجب أ ن يهيئ لها الطلاب الذين ينتفعون وينفعون بالاختلاف إليها. وكان ماهر باشا ينشئ الجامعة، وكان يريد أن يهيئ لها هؤلاء الطلاب. ولكنه أخطأ أو أخطأ المشيرون عليه فيما نظن، فاختار لتعليم هاتين اللغتين معلمين من اللاتينيين بلچيكيين وفرنسيين. وكان حقه يختار من الانجليز، لأن استقلال مصر لم يكن قد تم بعد برغم تصريح ٢٨ فبراير، ولأن الانجليز ليسوا أقل من غيرهم قدرة على تعليم اليونانية واللاتينية، ولأن تلاميذنا أقدر على أن يستفيدوا من الانجليز فى اللاتينية واليونانية منهم على أن يستفيدوا من الفرنسيين والبلچيكيين وما دام

---

* ص ٢٦٢ – ٢٨٦ من كتاب طه حسين «مستقبل الثقافة فى مصر» المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد التاسع، دار الكتاب اللبنانى ومكتبة المدرسة، بيروت – لبنان، ١٩٨٢.

الأمر منتهياً مهما يطل الوقت إلى أن ينتقل هذا التعليم إلى المعلمين المصريين فلم يكن بأس بأن نصانع الانجليز حين كانوا خصوماً أقوياء. وليس من بأس أن نجاملهم ونرضيهم بعد أن أصبحوا حلفاء وأصدقاء ما دام ذلك ينفع ولا يضر. ولكن الذين أشاروا على ماهر باشا لم يفطنوا لهذا ولا لشيء منه، فألغيت اللاتينية واليونانية من المدارس الثانوية، وحوّل بعض المعلمين إلى كلية الآداب، وكلّف بعضهم تعليم الفرنسية فى القاهرة والأقاليم ورددنا إلى حيث كنا. وقد ترك ماهر باشا وزارة المعارف منذ عهد بعيد، ولم يخطر لأحد من الذين جاءوا بعده أن يفكر فى هذه المسألة. ماذا نقول؟ لقد تعرض تعليم اللاتينية واليونانية فى الجامعة نفسها لأعظم الأخطار وأشدها، واحتجنا وما زلنا محتاجين فى إقراره وتقويته إلى جهاد متصل عنيف.

أقر هذا التعليم فى الجامعة على كره من نواح كثيرة حين كان ماهر باشا وزيراً للمعارف، وأقر بالقياس الى كليتى الآداب والحقوق. ولكن أشهراً لم تمض على إنشاء الجامعة حتى كان صراع عنيف حول إقرار اللاتينية بالقياس إلى كلية الحقوق. وانتهى هذا الصراع بانتصار خصوم اللاتينية، وأعفى طلاب الحقوق من درسها، وانتهينا الى هذه النتيجة المضحكة التى تخزى مصر عند الأجانب من غير شك وهى أن من الجائز جداً أن يوجد فى الجامعة المصرية وفى أرقى كلية حديثة للحقوق فى الشرق أستاذ أو أساتذة للفقه الرومانى والفقه المدنى وتاريخ الفقه لا يلم باللاتينية، ولا يستطيع أن يقرأ نصاً من نصوصها مهما يكن يسيراً.

وكان مصدر هذا الخطأ المضحك أن الذين أشرفوا على تنظيم كلية الحقوق لم يفرقوا، ولم يخطر لهم أن يفرقوا بين الحقوق ليتخصص فيها وبين أن يصبح أستاذاً فى الكلية يوماً ما. فالأول يستطيع إلى حد ما أن يستغنى عن اللاتينية ولكن استغناء الثانى عنها لا يتصور إلا فى بلد لا يفهم الثقافة العالية على وجهها.

كان بعض أساتذة الحقوق من المصريين يمانعون أشد الممانعة فى تعليم اللاتينية لطلابهم، لأنهم هم لم يتعلموا اللاتينية، فكيف يعرف تلاميذهم ما لا يعرفون. ولم يستطع أحد فى ذلك الوقت أن يفهم أن الواجب على كل جيل أن يهيء الجيل الذى يأتى بعده ليكون خيراً منه وأوسع علماً وأعمق ثقافة، ولكننا قد أخذنا نفهم هذا الآن، ويخيل إلى أن كلية الحقوق نفسها قد أخذت تندم على تفريطها فى اللاتينية، وهى على كل حال قد أخذت توجه بعض المتفوقين من طلابها لا لدرس اللاتينية بل لدرس اليونانية والألمانية والايطالية أيضا.

مهما يكن من شيء فقد طردت اللاتينية من كلية الحقوق طرداً عنيفاً، ثم حوربت فى كلية الآداب نفسها، وحوربت معها اليونانية حرباً عنيفة طويلة ملتوية لا حاجة إلى تفصيلها الآن، ولكنهما ثبتتا لهذه الحرب ثباتاً حسناً. ثم أخرجت من كلية الآداب سنة ١٩٣٢، وما هى إلا أن ألغى صاحب المعالى حلمى عيسى باشا قسم الدراسات القديمة إلغاء. وظلت اللاتينية واليونانية مع ذلك تدرسان فى الكلية لغتين إضافيتين على أنهما من وسائل البحث الجامعى. فلما عدت إلى الكلية فى أواخر سنة ١٩٣٤ عادت الحرب حول اللاتينية واليونانية جذعة، وانتهت بأن أعاد نجيب الهلالى باشا ما ألغاه حلمى عيسى باشا، وأستأنفت اللاتينية واليونانية حياتهما خصبة مبشرة بالخير فى كلية الآداب.

فهذا كله على ايجازه يصور لك فى وضوح ما تلقاه اللاتينية واليونانية فى مصر من المقاومة. وأنا مع ذلك مؤمن أشد الايمان وأعمقه وأقواه بأن مصر لن تظفر بالتعليم الجامعى الصحيح ولن تفلح فى تدبير بعض مرافقها الثقافية الهامة إلا اذا عنيت بهاتين اللغتين، لا فى الجامعة وحدها بل فى التعليم العام قبل كل شيء. والأدلة على ذلك تظهر لى يسيرة هينة، وجلية واضحة. ومن أغرب الأشياء فى نفسى وأبعدها عن فهمى ألا يفطن لها ولا يهتدى إليها الذين ينهضون بشؤون مصر ويقومون على تدبير أمورها والذين

وكان الأستاذ ديجى من أشد المبغضين لتعليم اللاتينية فى كلية الحقوق، وإليه يرجع هذا الفضل المخجل فى حمل المصريين على إبعاد اللاتينية عن هذه الكلية. ومع ذلك فقد كان الأستاذ ديجى عميداً لكلية الحقوق فى جامعة بوردو، وكان بارعا فى اللاتينية براعة ظاهرة. واذكر أننا كنا نختصم فى هذه المسألة فى مجلس الجامعة، وكان الحوار بينه وبينى شديداً، فلما ألححنا فى هذا الحوار رد علىّ فى بعض ما رد بجملة لاتينية، فضحك المجلس وضحك الأستاذ ديجى نفسه من رجل يحارب اللاتينية ويريد إلغاءها، ويحتج لذلك ويخاصم فيه باللغة اللاتينية نفسها.

ولست أدرى كيف أقر موقف الأستاذ ديجى، ولكنى أعلله باحدى علل ثلاث أو بهذه العلل الثلاث مجتمعة، فقد كان الأستاذ ديجى من الديمقراطيين المتطرفين فى فرنسا، وانحراف هؤلاء الديمقراطيين عن اللاتينية واليونانية معروف، ولكنهما لا ينحرفون عنهما فى فرنسا إلا بمقدار. فهم لا يريدون أن تفرضا على كل الذين يختلفون إلى المدارس العامة كما كانت الحال فى القرن الماضى، وإنما يكتفون بأن تدرسا فى هذا التعليم يختارهما من يشاء ويعرض عنهما من يشاء، على أن يختار مكانهما لغتين أوربيتين إلى آخر نظامهم المعقد. وأكبر الظن أن الأستاذ ديجى حارب اللاتينية فى مصر كما كان يحاربها فى فرنسا. وهناك علة ثانية، وهى أن زعيم الداعين إلى تعليم اللاتينية فى الجامعة لم يكن محبباً إلى الأستاذ ديجى ولا إلى كثرة الجامعيين المصريين. فلم يكن هذا الزعيم إلا الأستاذ جريجوار العميد الأول لكلية الآداب الحكومية فحوربت اللاتينية فى كلية الحقوق كيداً لهذا الرجل الذى لم يكن يحسن الدفاع عن قضيته برغم إخلاصه وحسن نيته ولعلك لا تحتاج إلى أن أذكر لك أن العلة الثالثة كانت سياسية صرفة، فقد رأيت إخفاق ماهر باشا حين أراد تعليم هاتين اللغتين فى المدارس الثانوية.

وهناك علة رابعة لم أكن أحب أن أسجلها لولا أنها لا تخلو من ظرف وفكاهة. فقد

وزارة المعارف بالدبلومات أولا ثم بالبكالوريوس بعد ذلك. والذى كانت تسخط فيه وزارة المعارف أشد السخط وأقساه على الذين يعجبهم العلم وتخلبهم الدرجات الجامعية، فيتجاوزون أو يحاولون أن يتجاوزوا ما رسم لهم من خطة وما وضع لهم من منهاج.

وقد عاد هؤلاء جميعاً من أوربا وتولوا الأمور العامة فى مصر وهم لا يعرفون من الحياة العقلية الأوربية إلا ظواهرها وأشكالها. ومنهم من يعرف ذلك معرفة ناقصة مبتورة ولكنهم قد عرفوا الحياة الأوربية المادية معرفة حسنة، واستمتعوا بلذاتها وطيباتها وقارنوا بينها وبين حياتنا المصرية الغليظة المهملة التى لا تخلو من خشونة وشظف، والتى لا تخلو مع ذلك من لذة ومتاع. فمنهم من قلد أوربا فأسرف فى التقليد، ومنهم من رجع إلى الحياة المصرية فأسرف فى الرجوع وألقى عن نفسه الطلاء الأوربى. ومنهم من توسط بين ذلك واختار لنفسه مزاجاً من الحياتين فيه لذة ومتاع وفيه ترف واستمتاع. وقليل جداً منهم من تأثر بالحياة العقلية الأوربية وتعمقها فى أثناء إقامته فى أوربا ثم احتفظ بهذا التأثر والتعمق بعد أن رجع إلى مصر. والمحقق أن أولئك وهؤلاء الذين تخرجوا فى الجامعات الأوربية أو تعلموا فى المدارس المصرية لم ينظروا إلى التعليم نظرة التعمق والجد، وإنما أخذوه أخذاً رفيقاً لا يكلفهم جهداً ولا يحملهم مشقة.

ثم أضف إلى هذا كله أن بين الذين ذهبوا إلى أوربا وعادوا منها وبين الذين أقاموا فى مصر واتصلوا بأوربا بعض الاتصال من ألم إلماماً يسيراً ناقصاً مشوهاً بهذا الخصومة التى قامت فى أوربا منذ أواخر القرن الماضى بين الديمقراطيين والمتطرفين من جهة، وبين المعتدلين والمحافظين من جهة أخرى حول تعليم اللاتينية واليونانية.

قرأوا كتباً ترجمها لهم فتحى زغلول رحمه الله وألفها جوستاف لبون أو أدمون دى مولان، وقرأوا فصولا ومقتطفات فى الصحف والمجلات العربية والأجنبية، وقرأوا فى تلك الكتب وهذه الفصول والمقتطفات أن فلانا وفلانا من الرجال الممتازين فى السياسة

يشرفون على التعليم فيها بنوع خاص. وأكبر الظن أن مصدر هذا إنما هو أن الجيل الحاكم والمرتقى إلى الحكم لا يتقن العلم بالشئون الثقافية فى أوربا، ولا يكاد يعرف منها إلا ظواهرها، وظواهرها القريبة اليسيرة التى لا يحتاج فهمها ولا العلم بها إلى جهد ولا عناء. منهم من تعلم فى المدارس المصرية وانتهى إلى غاية التعليم العالى المصرى أيام الاحتلال، ثم وقف عند ذلك ولم يتجاوزه، فلم يعرف من حقيقة التعليم شيئاً أو لم يكد يعرف منه شيئاً، ثم دفع إلى شؤون الحياة العامة فجاهد فيها منتصراً حيناً ومنهزماً حيناً آخر، وشغل بهذا الجهاد السياسى عن غيره من الشؤون. وانتهى به الأمر إلى أن اعتقد أن السياسة هى كل شىء، وأن مقاومة الانجليز ومخاصمة الأحزاب هما أقصى ما ينتهى إليه جهد الرجل المصلح فى هذا الطور من أطوار الحياة المصرية. ومنهم من اتصل بالجامعات الأوربية قبل أن يتم التعليم العالى فى مصر أو بعد أن أتمه، فدرس فيها وظفر ببعض إجازاتها، ولكنه درس فيها عجلا، وظفر بأيسر إجازاتها وأهونها وانتفع فى هذا كله بنظام المعادلات التى تقره الجامعات الأوربية لتيسر على الأجانب الاختلاف إليها وترغبهم فى الاتصال بها، وتنشر بهذا كله الدعوة لبلادها وتعليمها وإجازاتها فى البلاد الأجنبية. ومن هؤلاء من أرسلتهم وزارة المعارف نفسها إلى أوربا وقد رسمت لهم مناهج الدرس فيها وبرامجه، وعينت لهم الجامعات والمدارس التى يتصلون بها والدرجات والاجازات التى يجب أن يحصلوا عليها. وحسبك بوزارة المعارف حين ترسم المناهج والبرامج وتختار الجامعات والمدارس وتعين الدرجات والاجازات وهى إلى الآن لاتزال تجهل من أمور التعليم العالى فى أوربا أكثر جداً مما تعلم. وقد كانت قبل الاستقلال خاضعة لسلطان الانجليز وكان أبغض شىء إلى الانجليز أن يتصل المصريون بالتعليم الأوربى العالى، فلما أكرهوا على أن يخلوا بين المصريين وبين ذلك رسموا لهم المناهج والبرامج مضيقين لا موسعين ومخادعين لا ناصحين. وما زلنا نذكر العهد الذى كان المصريون يبتهجون فيه أشد الابتهاج حين يظفر أحدهم بأيسر الدرجات الجامعية فى أوربا، والذى كانت تقنع فيه

والعلم بين الأوربيين يمقتون اليونانية واللاتينية ويقاومون تعليمها فى المدارس ويؤثرون عليهما اللغات الحية من ناحية والعلوم التجريبية من ناحية أخرى. ففهموا ذلك على غير وجهه، واستقر فى نفوسهم أن التجديد يقتضى بغض هذه الأشياء القديمة. وإيثار العلم التجريبى الذى يمكن من الاختراع والسيطرة على الطبيعة، واللغات الحية التى تنفع فى التجارة وفى تدبير مرافق الحياة. ولم يخطر لهم أن يتعمقوا هذه الخصومة ولا أن يتبينوا موضوعها وغايتها. ولو قد فعلوا لعرفوا أن موضوع هذه الخصومة لم يكن ضرورة هاتين اللغتين للثقافة والحضارة، وإنما كان ضرورة فرض هاتين اللغتين على جميع التلاميذ الذى يختلفون إلى المدارس الثانوية ويتصلون بالتعليم العالى على اختلاف فروعه وألوانه، ولا سيما بعد أن انتشر التعليم وطمعت فيه الطبقات كلها، طبقات الأغنياء والفقراء وأوساط الناس.

كان موضوع الخصومة فى حقيقة الأمر هذه المسألة: أيجب أن يهيأ الناس جميعاً للعلم والتخصص ليصبحوا جميعاً قادة للرأى ومدبرين للأمور العامة، أم يجب أن يتهيأ بعضهم لحياة العلم والتخصص، وأن يهيأ أكثرهم للحياة العاملة التى تيسر لهم الاضطراب فى طلب الرزق وكسب القوت؟ فإن تكن الأولى فلابد من اللاتينية واليونانية لأنهما أساس من أسس العلم والتخصص، وإن تكن الثانية فكثرة الناس محتاجة إلى التعليم الفنى من جهة، وإلى التعليم العام الحديث الذى يعرض عن اللاتينية واليونانية إلى اللغات الحية والعلوم التجريبية بشرط أن تظل اللاتينية واليونانية مفروضتين على كل من يريد العلم الخالص والتخصص فيه. وواضح جداً أن وضع المسألة على هذا النحو صحيح لا غبار عليه، وأن من الخطأ وإضاعة الوقت والجهد أن تفرض اللاتينية واليونانية على كل من يختلف إلى المدارس العامة وإلى الجامعة، فإن كثرة هؤلاء لن يحتاجوا إلى هاتين اللغتين حين يعملون فى مرافق الحياة اليومية. ولكن أصحابنا لم يقفوا عند شىء من هذا ولم يفكروا فيه، وإنما أخذوا الأمور على ظاهرها واطمأنوا إلى أن اللاتينية واليونانية عبء ثقيل لا معنى لارهاق الشباب به ولا لتحيملهم إياه.

وإذا كان الأوربيون أنفسهم يريدون أن يتخلصوا منه وهم يتخلصون منه بالفعل مع أن هاتين اللغتين تتصلان بحياتهم ولغاتهم وحضارتهم أشد الاتصال فما بالنا نحن نثقل أنفسنا به ونضطر أبناءنا إليه ؟

بهذا الحديث وفى لهجة أشد من اللهجة قوبلت حين طلبت إلى مجلس إدارة الجامعة المصرية القديمة إضافة هاتين اللغتين إلى مواد الدراسة فى كلية الآداب، ولكنى ألححت ومضيت فى الالحاح حتى أجابتنى الجامعة القديمة إلى ما أردت لتستريح من إلحاحى عليها، لا لتحقيق رأياً اقتنعت به واطمأنت إليه. ومع ذلك فقد أجابتنى ولم تجبنى. فقررت تعليم هاتين اللغتين على هامش الدراسة الجامعية لا على أنهما جزء من المنهاج.

وبهذا الحديث قوبلت فى الجامعة المصرية الحكومية وما أزال أقابل كلما طلبت التزيد من العناية بهاتين اللغتين فى كلية الآداب.

ومن المحقق أن فرع الدراسات القديمة فى كلية الآداب يحتمل احتمالا ولا يقتنع بضرورته وفائدته إلا قلة من الجامعيين المصريين. والطريف أن وقتاً من الأوقات قد مضى على كلية الآداب كان فيه بعض الأساتذة من الانجليز يؤيدون مقاومة هاتين اللغتين تأييداً عنيفاً. وكان أشدهم غلواً فى ذلك أستاذ من أساتذة ليفربول هو الأستاذ كوبلند الذى تخصص فى تاريخ القرون الوسطى والذى تقوم حياته العلمية كلها على اللاتينية.

وأذكر أنى حاورته ذات يوم فى ذلك فى أثناء جلسة من جلسات مجلس الكلية، فلما اشتد الحوار وكادت كفته ترجح سألته: أتعرف جامعة انجليزية تهمل فيها اللغة اللاتينية ؟ قال: لا. قلت: فما بالك تريد أن تكون الجامعة المصرية بدعاً من جامعاتكم؟ قال: لأن مصر لم تبلغ بعد أن تكون كانجلترا. وكان جوابه هذا الصريح كافياً لتحول الكثرة عنه وانضمامها إلى.

والسؤال الذى يجب أن نلقيه وأن نجيب عنه فى صراحة وإخلاص وفى وضوح وجلاء هو هذا السؤال: أنريد أن ننشىء فى مصر بيئة للعلم الخالص تشبه أمثالها من البيئات العلمية فى أى بلد من البلاد الأوربية الراقية أو المتوسطة أم لا نريد؟ فإن كانت الثانية فقد خسرت القضية وليست مصر فى حاجة الى اليونانية ولا إلى لاتينية، وليست مصر فى حاجة إلى الجامعة وإلى كلياتها، بل حسبها أن تعود إلى عهدها أيام الاحتلال. وأن تسير سيرة المستعمرات وتكتفى ببعض المدارس العالية لتخريج من تحتاج إليهم من الموظفين، وإن كانت الأولى فقد ربحت القضية، ولابد من العناية بهاتين اللغتين لا فى الجامعة وحدها بل فى المدارس العامة أيضا.

ويظهر أن مصر قد أجابت على هذا السؤال فى صراحة وإخلاص وفى وضوح وجلاء منذ ثلاثين عاماً حين أنشأت برغم الاحتلال وعلى كره منه جامعتها المصرية القديمة، فهى إنما أنشأت تلك الجامعة لترتفع بالشباب المصريين عن ذلك التعليم الآلى الذى فرضته عليهم الظروف ولترقى بهم إلى تعليم حر مستقل يهيئهم أو يهىء بعضهم على الأقل ليكونوا علماء أحراراً مستقلين. ومن أراد الغاية فقد أراد الوسيلة التى تؤدى إليها، وإلا كان عابثاً هازلا كما قلنا ألف مرة ومرة، وكما يقول الناس جميعا.

وللظاهر أن مصر لا تريد أن تعبث ولا أن تهزل حين تقرر أنها تريد أن تكون من شبابها علماء أحراراً مستقلين، يشبهون أمثالهم فى الأمم الأخرى ويثبتون لهم، ويشاركونهم فى الانتاج العلمى الحر المستقل الذى لا تقوم الحضارة بدونه ولا تستطيع أن تثبت ولا أن تنمو إلا إذا اتخذته لها أساساً.

وإذاً فقد رسمت مصر لنفسها طريق الاستقلال العلمى، وفرضت على نفسها أن تجارى غيرها من الأمم الحية فى ميدان العلم كما تجاريها فى ميدان السياسية والاقتصاد.

وإذا كان كل هذا حقاً فليس على مصر إلا أن تنظر إلى الأمم الحية الراقية كيف

تسلك طريقها إلى تكوين العلماء الأحرار المستقلين، ثم تسلك نفس هذه الطريق التى تسلكها هذه الأمم. فإن فعلت ذلك كانت خليقة أن توفق إلى ما تريد. وإن لم تفعله ظلت كما هى عيالا على أوربا وإن خدعت نفسها بأوهام الاستقلال فى العلم.

والغريب أن المثقفين جميعاً يضحكون منك، ويهزأون بك، إن زعمت لهم أننا نستطيع أن ندرس الطبيعة والكيمياء وغيرهما من العلوم التجريبية دون أن نحتاج إلى المعامل والأدوات التى يعتمد عليها الأوربيون حين يدرسون هذه العلوم وحين يعلمونها للشباب، لأنهم يرون هذه المعامل والأدوات وسائل أساسية لا يستقيم بدونها درس العلوم التجريبية.

فإذا زعمت لهم أن هناك علوماً أخرى لا تحتاج إلى المعامل والأدوات ولكنها تحتاج إلى وسائل ليست أقل بالقياس إليها خطراً من المعامل والأدوات بالقياس إلى العلوم التجريبية لم يسمعوا لك ولم يفهموا عنك فضلا عن أن يجيبوك إلى ما تدعوهم إليه.

وأغرب من ذلك أن هؤلاء المثقفين لا يترددون فى الايمان بأن العلوم التجريبية لا تستقيم للذين يدرسونها ويعلمونها إلا إذا أخذوا بحظوظ معقولة من الرياضة. فإذا زعمت لهم أن العلوم الأدبية لا تستقيم لأصحابها إلا اذا اتخذوا إليها وسائل تقع منها موقع الرياضة من العلوم التجريبية لم يسمعوا لك ولم يفهموا عنك فضلا عن أن يجيبوك إلى ما تدعوهم إليه.

وأشد من هذه غرابة وأكثر منه ظرفاً أن هؤلاء المثقفين لا يترددون فى أن يعلموا مبادىء الرياضة والعلوم التجريبية للذين يريدون أن يتخصصوا فى العلوم الأدبية، بل فى اللغة العربية نفسها. لا يرون بذلك بأساً ولا يجدون فيه حرجاً فإذا زعمت لهم أن هناك وسائل أمس بالعلوم الأدبية من مبادىء الرياضة والطبيعة والكيمياء لم تلق منهم إلا إعراضاً وازوراراً. ولا نحب أن يحمل كلامنا هذا على غير وجهه فنحن مؤمنون بأن

مبادىء الرياضة والعلوم التجريبية لازمة لكل مثقف لأنها أصل من أصول الثقافة الحديثة. ولكنا مؤمنون أيضاً بأن هناك وسائل إلى العلوم الأدبية هى أشد بها مساساً وأقوى بها صلة وألزم لها من مبادىء الرياضة والطبيعة والكيمياء. ومصدر هذا الازورار الذى تجده من المثقفين المصريين حين تذكر لهم اللاتينية واليونانية والاقبال الذى تجده منهم حين تذكر لهم الرياضة والعلوم التجريبية والمعامل والأدوات هى العادة لا أكثر ولا أقل. فهم قد نشأوا على أن الرياضة والعلوم التجريبية من أصول الثقافة الحديثة، وهم قد نشأوا على أن المعامل والأدوات لابد منها لدرس الرياضة والعلوم التجريبية، فآمنوا بذلك إيماناً لا يعرض له الشك، ولكنهم لم يتعلموا اللاتينية ولا اليونانية ولم يسمعوا بهما فى أثناء اختلافهم إلى المدارس العامة. وقد رأوا مصر تعيش عيشتها الحديثة من غير هاتين اللغتين، فلم يترددوا فيما انتهوا إليه من الاقتناع بأن تعليم هاتين اللغتين تزيد لا حاجة إليه ولغو لا خير فيه. ومع ذلك فالحق علينا لهم ولمصر أن نصدقهم ونصدقها، وأن ننصح لهم وننصح لها وأن ننبئهم بهذه الحقيقة الواقعة التى يستطيعون أن يمتحنوها ويتبينوا صحتها متى شاءوا وكيف شاءوا، وهى أن التعليم العالى الصحيح لا يستقيم فى بلد من البلاد الراقية إلا إذا اعتمد على اللاتينية واليونانية على أنهما من الوسائل التى لا يمكن إهمالها ولا الاستغناء عنها. وإنا لا نعرف جامعة خليقة بهذا الاسم فى بلد راق خليق بهذا الوصف لا تشترط اللاتينية واليونانية إحداهما أو كلتيهما على أنهما شرط أساسى لبعض الدراسات، والدراسات الأدبية والفقهية بنوع خاص.

فإذا لم يكن لنا بد من أن نسلك إلى الرقى العلمى سبيل غيرنا من الأمم فليس لنا بد من أن نعلم هاتين اللغتين القديمتين لبعض الشباب المصريين الذى يهيئون أنفسهم لبعض فروع التعليم العالى. وإذا قصر التعليم العام فى ذات هاتين اللغتين فقد عجز عن أداء مهمته ولم يحقق الغاية التى أنشىء من أجلها والغرض الذى طلب إليه.

قد يقال إن هاتين اللغتين تدرسان فى كلية الآداب وهذا يكفى، فنقول: كلا إنهما تدرسان فى كلية الآداب وهذا لا يكفى، بل هو بعيد كل البعد عن الكفاية فاللغات الحية الأوربية تدرس فى كلية الآداب واللغة العربية تدرس فى كلية الآداب، ولم يقل أحد إن هذا يعفى التعليم العام من درس هذه اللغات وإعداد الطلاب لدرسها فى التعلم العالى. والتاريخ والجغرافيا يدرسان فى كلية الآداب ولم يقل أحد إن درسهما فى هذه الكلية يعفى من إعداد الطلاب لهما فى التعليم العام. ولابد من أن نفطن لهذه البديهية التى لا نقف عندها عادة وهى أن العلوم التى يتخصص فيها الطلاب حين يختلفون إلى الجامعة والتعليم العالى تنقسم قسمين. أحدهما ما يستأنف درسه استئنافاً فى الجامعة والمدارس العليا دون أن يسبق درسه مبسطاً سهلا فى المدارس العامة كالحقوق، وكثير من العلوم التى تدرس فى كلية الطب، ومنها ما تدرس أولياته ومقدماته فى المدارس العامة ثم يترقى الطلاب المتخصصون فى درسه حين يختلفون إلى الجامعة والمعاهد العليا كالتاريخ والجغرافيا واللغات. فدرس اللاتينية واليونانية فى الجامعة لا يغنى عن درسهما فى المدارس العامة بل هو يستلزمه استلزاماً، ذلك أن الجامعة ليس من شأنها ولا من همها أن تعلم أوليات هذه العلوم ومبادىء هذه اللغات، وإنما شأنها وهمها شىء آخر يعرفه المثقفون حق المعرفة وهو تخصيص الطلاب فى العلم وتمكينهم من التعمق والانتاج فيه.

وما تشك الجامعة فى أن المقدار الذى تعلمه للطلاب من اللاتينية واليونانية ضئيل لا يكاد يغنى عنهم شيئاً، ولكنها مضطرة إلى أن تنهض بما لم ينهض به التعليم الثانوى تحقيقاً للمنفعة الوطنية العلمية ومضطرة فى الوقت نفسه إلى أن تطالب التعليم العام بأن ينهض بواجبه ويهيىء الطلاب للدرس الجامعى الصحيح.

والنتيجة لهذا كله، النتيجة العملية التى لا بد من الانتهاء إليها هى أولا أن فى كلية الآداب فرعاً للدراسات اليونانية واللاتينية ودرجات لهذه الدراسات، هى الليسانس

والماچستير والدكتوراه وأساتذة يعلمون هذه الدراسات فلابد من إعداد الطلاب فى المدارس العامة لهذا الفرع. وثانياً أن التخصص فى أى فرع من فروع الدراسات الأدبية، التخصص الصحيح لا سبيل إليه إلا إذا استعد الطلاب له بمعرفة اللاتينية دائماً واليونانية أحياناً. فلابد من أن يهيأ الطلاب فى المدارس العامة لهذا التخصص. وثالثاً أن هناك مرافق مصرية أساسية يقوم عليها الأجانب منذ بدأت نهضتنا الحديثة ونريد وتريد كرامتنا واستقلالنا أن نهيىء شبابنا للقيام على هذه المرافق فى يوم من الأيام.

فمصلحة الآثار المصرية يقوم عليها الأجانب إلى الآن، ولابد من أن ينهض المصريون وحدهم بأعبائها فى يوم من الأيام. ولا سبيل إلى ذلك إلا إذا وجد المصريون الذين يحسنون هاتين اللغتين القديمتين قبل أن يبدأوا تخصصهم فى علوم الآثار. وإنه لمن المؤلم أن نضطر الطلاب المصريين فى معهد الآثار إلى تعلم اليونانية واللاتينية مع ما يدرسونه من اللغة المصرية القديمة واللغة القبطية والتاريخ المصرى على اختلاف فروعه والآثار المصرية على اختلاف فنونها. وتاريخ مصر نفسه قد نهض بكتابته الأجانب إلى الآن، ولم يشارك المصريون مشاركة خصبة منتجة إلا فى تاريخها الحديث، فأما تاريخها القديم وتاريخها أيام اليونان والرومان وتاريخها فى العصور الاسلامية فما زال المصريون فيه مبتدئين. والذين ابتدأوا منهم درس هذه الأقسام من تاريخنا الوطنى إنما ابتدأوه فى كلية الآداب وبعد أن تعلموا اللاتينية واليونانية.

وإذاً فالذين يدعون إلى إحياء التاريخ المصرى والقومية المصرية يجب أن يدعوا إلى هذا جادين وأن يدعوا إليه عن بصيرة وفهم، وأن يدعوا فى الوقت نفسه إلى اتخاذ الوسائل إلى تحقيقه ومن أهم الوسائل إلى تحقيقه إتقان هاتين اللغتين. وإنه لمن المحرج أن نضطر إلى تقرير الأوليات وأن نعيد القول ونبدأه فى أن العلاقة بين مصر واليونان قديمة جداً وأن اليونان قد صوروا هذه العلاقة فيما كتبوا وما أنشأوا. ومن أن مصر قد

خضعت للسلطان اليونانى والرومانى وما نشأ عنهما من النظم عشرة قرون لا نستطيع أن نلغيها من تاريخنا الوطنى، ومصادر تاريخها يونانية ولاتينية. ومن أن مصر قد اتصلت فى عصورها الاسلامية بالبيزنطيين من جهة وبأوربا الغربية من جهة أخرى. ومصادر هذا التاريخ لهذا الاتصال يونانية ولاتينية.

فالذين يمانعون فى تعليم اليونانية واللاتينية عندنا يجب أن يتروا ويفكروا ويراجعوا أنفسهم، لأن معنى هذه المقاومة إنما هو القضاء على المصريين، بأن يجهلوا تاريخهم وألا يعرفوه إلا من طريق الأجانب.

وما أظن أن بين دعاة الوطنية المصرية والقومية المصرية من يطمئن إلى هذا الخزى المبين.

كل هذا ولم أتحدث ولن أتحدث على أثر هاتين اللغتين فى تكوين العقل وتقويمه وتثقيفه وإعداده للتفكير المستقيم، فإن هذا الحديث إن ذهبت إليه لم يفهم عنى، لأن فهمه يقتضى معرفة هاتين اللغتين وممارستهما وابتلاء آثار المعرفة والممارسة والذين يعرفون هاتين اللغتين فى مصر يمكن إحصاؤهم على أصابع اليد الواحدة أو على أصابع اليدين.

وقد خضعت فرنسا كما خضعت غيرها من الأمم الأوربية فى هذا العصر الحديث للخصومة بين أصدقاء هاتين اللغتين وأعدائهما، ولكن النظام المقرر فى فرنسا والذى لا يفرط فيه أحد من الأصدقاء والأعداء لهاتين اللغتين، هو أن من أراد أن يهيىء نفسه للنهوض بأعباء التعليم فى المدارس العامة وفى الجامعات فلابد له من إتقان اللاتينية مهما تكن المادة التى يريد أن يتخصص فيها، ولابد من إتقان اليونانية مع اللاتينية بالقياس إلى بعض المواد.

وليس فى فرنسا اليوم ولن يكون فيها غداً ولا بعد غد معلم فى المدارس العامة، أو أستاذ فى الجامعة لا يحسن اللاتينية وكثير منهم يحسن اليونانية أيضا. والمشرفون على

التعليم فى فرنسا الآن وهم من الديمقراطيين الذين حاربوا هاتين اللغتين يميلون أشد الميل إلى فرض اليونانية على كل من يريد إجازة التعليم فى الدراسات الأدبية على اختلافها.

وما أظن الأمر يختلف فى انجلترا وألمانيا وايطاليا عنه فى فرنسا، بل قد شهدت أكثر من هذا فى مؤتمر التعليم الذى عقد فى باريس فى أثناء الصيف الماضى، شهدت ناظر مدرسة الهندسة فى زوريخ يدعو إلى أن تفرض اللاتينية واليونانية إحداهما أو كلتاهما على الذين يريدون أن يتخصصوا فى الهندسة، فالطريق أمام مصر واضحة، وهى حرة فى أن تسلكها إن أرادت الاستقلال العلمى، وفى أن تتجنبها إن رضيت لنفسها ما هى عليه الآن من الهوان والاستخذاء أمام الأوربيين.

سُبُل تَعْلِيم هَاتَيْن اللغَتَيْنِ فى التَعْلِيم العَامّ

وتسألنى - ومن حقك أن تسألنى - كيف السبيل إلى تعليم هاتين اللغتين فى المدارس العامة ونحن نشكو من ثقل المناهج والبرامج ونلح فى الترفيه على التلاميذ؟ وهذا صحيح. ولكنى لا أريد أن أزيد المناهج ثقلا إلى ثقل، ولا أريد أن أشق على التلاميذ وإنما أريد أن أرفق بهم وأرفه عليهم.

ذلك بأنى لا أريد أن أفرض اللاتينية واليونانية على التلاميذ كافة، وإنما أريد أن أبيحهما لمن أرادهما ليس غير. وأن أشجع بعض التلاميذ على اختيارهما بما يتاح لى من ألوان التشجيع. وأريد فى الوقت نفسه أن أعفى الذى يختارهما من إحدى اللغتين الحيتين فى أثناء اختلافه إلى المدارس العامة.

ومعنى ذلك أنى أريد أن أنوع التعليم الثانوى من أوله، وأن أمنحه شيئاً من المرونة والسهولة واليسر، وأمنح التلاميذ وأسرهم شيئاً من الحرية والاختيار. فإذا بدأ التلميذ دراسته الثانوية فأنا أخيره بين ثلاثة أنواع من التعليم. أحدهما التعليم الذى يعتمد على اللغات

الحية والذى يتجه بعد الثقافة العامة اتجاهاً رياضياً أو علمياً. والثانى التعليم الذى يعتمد على اللاتينية واليونانية ويتجه بعد الثقافة العامة إلى الدراسات الأدبية على اختلافها. والثالث التعليم الذى يعتمد على اللغة العربية ويتجه بعد الثقافة العامة إلى الدراسة الأدبية العربية الخالصة. وأنا أسمع فى أثناء إملائى هذه الكلمات صياح الصائحين وأحس هياج الهائجين، وأشعر بما سيثور من سخط، ولكنى مع ذلك مقتنع بما أقول، مؤمن بصواب ما أدعو إليه، ملح فى هذه الدعوة، غير حافل بالرضا ولا بالسخط، ولا معنى إلا بما أعتقد أنه يحقق المنفعة الثقافية للمصريين.

هذا التنويع الذى أدعو إليه سيعتمد على هذا النظام السهل اليسير الذى أعرضه عليك الآن والذى ستذكره وزارة المعارف فى أكبر الظن، ولكنها ستنتهى إليه فى وقت من الأوقات بعد أن تضيع كثيراً من الجهد والوقت والمال، وبعد أن تضطرها إليه ظروف الحياة المصرية اضطرارا.

أنا أقسم المواد التى تدرس فى المدارس العامة إلى قسمين: أحدهما فرض على التلاميذ جميعاً لأنه قوام الثقافة العامة لكل مثقف مستنير. من هذا القسم التاريخ والجغرافيا واللغة الوطنية والرياضة والعلوم التجريبية كالطبيعة والكيمياء وعلم الحياة والآخر ما يجوز أن يختلف فيه التلاميذ وهو اللغات الأجنبية وآدابها. فكل من أراد أن يهيىء نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الرياضية أو للدراسات الفنية فى المدارس الخاصة وفرضت عليه مع هذا المقدار المشترك لغتين حيتين يختارهما بين الانجليزية والفرنسية والألمانية والايطالية. وكل من أراد أن يهيىء نفسه بعد الثقافة العامة للتخصص فى اللغة العربية وآدابها فرضت عليه التعمق فى درس اللغة العربية والثقافة الاسلامية وإتقان لغة أوربية حية، وخيرته بين إحدى هاتين اللغتين الشرقيتين العبرية والفارسية. وكل من أراد أن يهيىء نفسه بعد الثقافة العامة للدراسات الأدبية المختلفة كالتاريخ والجغرافيا والفلسفة

والآداب الخالصة لاحدى اللغات فرضت عليه اللغة اللاتينية ولغة أجنبية حية، وخيرته بين اللغة اليونانية ولغة أوربية أخرى. وينشأ من هذا النظام أولا أن يتنوع التعليم العام وألا يخرج لنا شبابا يشبه بعضهم بعضاً قد صبوا فى قالب واحد وصيغوا صيغة واحدة. ثانياً أن يخرج لنا التعليم العام شباباً تجد الجامعة بينهم كل من تريد. وقد أعدوا لها إعداداً حسناً. تجد بينهم كلية العلوم والطب والهندسة والزراعة طلاباً يحسنون لغتهم الوطنية ويحسنون معها لغتين أجنبيتين. وتجد كلية الحقوق والآداب والتجارة طلاباً مختلفين: منهم من يتهيأ للحياة العملية التجارية والاقتصادية فهو يحسن لغتين أجنبيتين إلى لغته الوطنية وقد هيىء تهيئة ثقافية صالحة. ومنهم من يريد التعمق فى العلوم الأدبية أو الفقهية وقد أعد لهذا إعداداً حسناً بما تعلم من اللغات القديمة والحديثة. ومنهم من يريد التعمق فى درس اللغة العربية وآدابها وقد أعد لذلك إعداداً حسناً بما تعلم من لغة أوربية وما تعلم من العبرية إن أراد التخصص فى فقه اللغة، ومن الفارسية إن أراد التخصص فى آداب اللغة. ثالثاً: أن يخرج لنا التعليم العام شباباً قد مكنوا من وسائل التعليم العالى تمكينا حسناً فلا تحتاج الكليات إلى أن تعلمهم هذه الوسائل ولا أن تنفق ما تنفق من الجهود والمال لتعليم هذه اللغات التى لا يجب أن تعنى من تعليمها إلا بناحية التخصص فى فقهها وآدابها.

وأخيراً ينشأ عن هذا النظام تجديد خطير للتعليم العام يخرجه من جموده السقيم العقيم، ويشيع فيه النشاط والقوة والحياة، وحسبك أنه يدخل فى التعليم الثانوى لغتين حيتين جديدتين ويدخل فيه اللاتينية واليونانية، ويدخل فيه لغتين شرقيتين هما الفارسية والعبرية، ويجعله قادراً حقاً على أن يعد الطلاب للتعليم الجامعى.